

عن فلسفة التسامح

الكاتب



عبدالحسين شعبان

عبد الحسين شعبان

جمع منتدى الفكر العربي يومَي التسامح والفلسفة في مناسبة واحدة لتقاربهما، ودعاني لإلقاء محاضرة عن «فلسفة التسامح» بمناسبة صدور كتابي الجديد «في الحاجة إلى التسامح»، وكان اليوم العالمي للتسامح قد تقرر في العام 1995 حين اتخذت منظمة اليونسكو قراراً للاحتفال بيوم 16 نوفمبر (تشرين الثاني) من كل عام، كما كانت قد قرّرت اعتبار يوم (الخميس الثالث) من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من كل عام يوماً عالمياً للفلسفة، وقد احتفلت لأول مرة بهذا اليوم في العام 2002 وتقرر اعتماده في العام 2005 اعترافاً بالقيمة الدائمة للفلسفة في تطوير الفكر البشري، لأنها مجال يشجّع على التفكير والنقد والاستقلالية وبواسطتها يمكن فهم العالم على نحو أفضل، لا سيما لتعزيز قيم التسامح والسلام واللاعنف والعدالة والمساواة والحرية والمشاركة الإنسانية.

وإذا كانت الفلسفة تحتلّ هذه المكانة على الصعيد العالمي إلا أنها ليست كذلك على الصعيد العربي والإسلامي منذ هزيمة العقلائية، وهكذا استهدف فلاسفة كبار مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد لاتهمم بالهرطقة واللاتدين لدرجة أن الغزالي نعتهم بأقصى النعوت في كتابه الموسوم «تهافت الفلاسفة»، وقد ردّ عليه ابن رشد بكتاب «تهافت التهافت»، علماً بأن ابن رشد اضطرّ إلى الهجرة ومات وحيداً ومكسوراً، وفي آخر أيامه أحرق بعض كتبه لشعوره باللاجدوى، وحين سأله أقرب المقربين إليه لماذا يفعل ذلك؟ أجابه: لا تحزن يا بُني للأفكار أجنحة، أي إنها ستطير، وبالفعل طار بعض أفكاره إلى أوروبا وتمّت ترجمتها لتصلنا بعد 900 عام، وهكذا تعرّفنا على فيلسوفنا عبر أوروبا، كما ظلّت كتب ابن سينا في الطب تُدرّس في الجامعات الأوروبية لقرون من الزمان.

إنّ احتفال اليونسكو باليوم العالمي للفلسفة باعتبارها «حب الحكمة» له أكثر من دلالة، ففيه تجديد للالتزام العالمي

بدعم الفلسفة وتشجيع الأبحاث والدراسات الفلسفية وتوعية الرأي العام بأهمية ذلك في عصر العولمة والوقوف على تعليمها على المستوى العالمي وتأكيد أهمية تعميمها

وتكمن أهمية الفلسفة نظرياً بالتأمل والتفكير وعملياً بالوسائل والمعالجات، لا سيما في فترات الأزمات الكبرى، كما هي جائحة كورونا اليوم، والدهشة أصل الفلسفة كما يُقال، وأول الفلسفة سؤال، ولعلّ أسئلة اليوم تتعلق بالحقائق والفرضيات والاستنتاجات الجديدة، وهي أحوج ما نكون إليه، وهذا ما يدعونا للقول بضرورة رد الاعتبار للعقلانية بصيغتها الحديثة، فحتى الدين يجب أن يكون «دين العقل» وكل ما يتعارض مع العقل ليس من الدين، أما الفقه فهو «فقه الواقع» انسجاماً مع روح العصر

ولعلّ التسامح أحد نتائج الوصول إلى بيئة سليمة وتربة صالحة بقبول الآخر والاعتراف بالتنوع والتعددية والحق في الاختلاف، وفي أوضاعنا الحالية هو مثل «الريح الخفيفة المنعشة التي تسبق المطر»، خصوصاً في ظلّ سيادة الواحدية والإطلاقيّة وأدعاء الأفضليّة وامتلاك الحقيقة. وإذا كانت فكرة التسامح راهنية وضرورية، فلأنّ حياتنا السياسية والاجتماعية بحاجة إلى نوع من الترميم والإصلاح ليس على الصعيد الداخلي فحسب، بل على الصعيد العالمي، في ظل هيمنة تيارات عنصرية قومية أو دينية أو شمولية متعصبة ومتطرفة ولا تتورّع من استخدام العنف والإرهاب لتحقيق أهدافها وللاستقواء على الآخر لحل خلافاتها

وحسب إعلان اليونسكو المؤلّف من ديباجة و6 مواد، فالتسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالماً لأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا... ويعني الوئام في سياق الاختلاف

والتسامح عندي ليس واجباً أخلاقياً فحسب، بل هو واجب سياسي واجتماعي وقانوني في الآن يمكن من خلاله معرفة درجة تطوّر المجتمع، وهو الفضيلة التي تيسر قيم السلام وتسهم في إحلال ثقافته محل ثقافة العنف والحرب، وهو يعني أيضاً اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين من التمتع بحقوق الإنسان وحرّياته

ولقراءة واقع التسامح في العالم المعاصر هناك خمسة اتجاهات أساسية

الأول – إنكاري لرفضه فكرة التسامح بزعم امتلاك الحقيقة والأفضليّة؛ والثاني – انعزالي بزعم الرياديّة، حيث يعتقد أن ثقافته هي التي تمتلك التميّز والحق والعدل؛ والثالث – تغريبي على الرغم من تأييده الفكرة، لكنّه يدعو إلى قطع الصلة بالتراث؛ والرابع – توافقي يقبل بعض أفكار التسامح بانتقائية لانشداده إلى الماضي؛ والخامس – حضاري يعتبر التسامح قيمة إنسانية عُلّيا

drhussainshaban21@gmail.com